

جامعة بغداد
كلية العلوم الإسلامية
قسم اللغة العربية

(توحيد لغة الخطاب)

الباحث

أ. م. د. أحمد رجب حمدان

الخميس ٢٠١٦/٢/١١

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ
اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ
جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ
أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا
الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

سورة المائدة، الآية/ (٤٨)

الإهداء

إلى:

عراقي العريفي

فهرست المواضيع

الصفحة	المحتويات	ترقيم البحوث	ت
٢	الآية القرآنية		١
٣	الإهداء		٢
٥	المقدمة		٣
٧	تأسيس لغة الخطاب	المبحث الأول:	٤
٩	استعمال الألفاظ الحسنة	المطلب الأول:	٥
١٤	أنواع الخطاب المجتمعي	المطلب الثاني:	٦
١٤	الرفق واللين في مخاطبة الناس		٧
١٥	أن يكون الخطاب على قدر عقولهم		٨
١٦	خطاب الخصم بعدم ايذائه		٩
١٨	مراحل الخطاب مع الناس	المبحث الثاني:	١٠
١٨	الدعوة والحوار - الحكمة والموعظة	المطلب الأول:	١١
١٩	حوار إبراهيم مع النمرود بإثبات البراهين لا إجبار الخصم على الرضى		١٢
٢٠	الجدال الحسن النافع والجدل العقيم	المطلب الثاني	١٣
٢١	أسباب الإعراض بعد الحوار		١٤
٢٢	دواعي الإلفة والوحدة		١٥
٢٣	الخطاب بالبشرى للمؤمنين		١٦
٢٤	الخاتمة		١٧
٢٥	فهرست المصادر		١٨
A	ملخص البحث باللغة الإنكليزية		١٩
b			٢٠

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه أما بعد: فإن حقيقة تواجد الخلق هو صراع بين الحق والباطل. ولولا وجود هذا الصراع لما تواجد الخلق. فالله تعالى خلق فسوى لغاية أن يميز الخبيث من الطيب، والباطل من الحق والشر من الخير ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾^(١) فيميز الشر والزبد والباطل ويخرجه من الخير والنافع والحق كما تخرج النار الخبيث والشوائب من الذهب. فيصفي الذهب ليتسنى له البقاء والديمومة على غيره ما دام صافيا من الشوائب. فحينئذ يضرب به المثل كما هو سيدنا محمد (صلى الله عليه واله وسلم).

ومن هنا فقد جعل الله لكل مجتمع أو مجموعة من البشر منهاجا ينتهجونه كي يكونوا على الطريقة الصحيحة التي لا لبس فيها ولا اعوجاج.

كل يعلم أن مشارب الناس متفاوتة وأفهامهم متنوعة كما هو منطوقهم مختلف وأساليبهم متنوعة؛ لذا كان من الواجب على كل متحدث أن يراعى الاسماع والقلوب التي تتلقى الخطابات المبهمة وغير المبهم. ومن هنا جاء قول الامام علي عليه السلام {حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟}^(٢). ومن هنا كان اختيار البحث بعنوان (توحيد لغة الخطاب) ويكون ذلك بتوجيه الخطاب الامثل لأجل كسب قلوب الناس وأسماعهم. وما أحوجنا اليوم إلى خطاب كسب الآخرين لجمع كلمة الأمة وعدم تفريقها. وكل هذا يعتمد على متقدمي الأمة بالدعوة والنصح والإرشاد اللغوي.

(١) سورة الرعد، الآية / ١٧.

(٢) الاغتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، ٣١٣/٢.

ونحن الآن بأمس الحاجة إلى هذا الأسلوب من التخاطب؛ لرفع الحواجز فيما بيننا، والوصول إلى التعايش المجتمعي. وخير دليل بقاء أصحاب الديانات في المجتمع النبوي في العصر الأول وما بعده لقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(٣) ما لم يغدروا. أما إذا لم نكن نستعمل هذا الأسلوب من الخطاب الوحدوي فلا يستطيع أصحاب المجتمع الواحد التعايش سوية. وهذا ما نجده الآن في مجتمعنا وبعض المجتمعات المختلفة الألسن.

ونقصد بلغة الخطاب هو الحوار بين افراد المجتمع كبارا وصغارا رجالا ونساء جهالا ومتقفين اولادا ومربين؛ ولوجود هذه المفارقات بين طبقات المجتمع في الافكار فلا بد من لغة ولسان لتوحيد الخطاب كل حسب طبقتة وجنسه.

(٣) سورة الكافرون، الآية / ٦.

المبحث الأول

تأسيس لغة الخطاب:

لقد باتت لغة الخطاب هي الوسيلة الفريدة للتعایش المجتمعي في وقتنا الحاضر، وليس هناك سبيل للتفاهم لأجل التعایش هي أفضل من توحيد لغة الخطاب. ونستطيع أن نقول أن تأسيس التعایش الاجتماعي كان منطلقا من قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾^(٤).

قال الفراء في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً﴾؛ (أي سنة «ومنهاجا» سبيلا واضحا بينا)^(٥). والخطاب في «مَنْكُمْ» للنَّاسِ؛ أَي أَيُّهَا النَّاسُ لِلْيَهُودِ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا، وَلِلنَّصَارَى كَذَلِكَ. فقال الامام علي بن أبي طالب عليه السلام وقتادة وجمهور المتكلمين: إنَّ المقصود بقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾؛ أي لليهود شرعة ومنهاج وللنصارى كذلك وللمسلمين كذلك^(٦). والظاهر أن في الكلام من قوله تعالى (لِكُلِّ) محذوف تقديره: أُمَّةً أَي: لِكُلِّ أُمَّةٍ^(٧). وأَنَّهُ (لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْكُمْ صِفَةً لِكُلِّ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ الْفُضْلَ بَيْنَ الصِّفَةِ وَالْمَوْصُوفِ بِالْأَجْنَبيِّ الَّذِي لَا تَشْدِيدَ فِيهِ لِلْكَلامِ، وَيُوجِبُ أَيْضًا أَنْ يُفْصَلَ بَيْنَ جَعَلْنَا وَبَيْنَ مَعْمُولِهَا، وَهُوَ «شِرْعَةً»؛ وَإِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِمَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: أَعْنِي. وَ«جَعَلْنَا» هَاهُنَا إِنْ شِئْتَ جَعَلْتَهَا الْمُتَعَدِّيَّةَ إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ، وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَهَا بِمَعْنَى صَيَّرْنَا)^(٨). فهي (كالتَّغْلِيلِ لِلنَّهْيِ، أَي إِذَا كَانَتْ أَهْوَاؤُهُمْ فِي مُتَابَعَةِ شَرِيعَتِهِمْ أَوْ عَوَائِدِهِمْ فَدَعَهُمْ وَمَا اعْتَادُوهُ وَتَمَسَّكُوا بِشَرْعِكُمْ.

(٤) سورة المائدة، الآية / ٤٨ .

(٥) معاني القرآن للفراء، ١/١٦٨ .

(٦) ينظر: الطبري ١٠/٣٨٤، تفسير ابن عطية، ٢/٢٠٠، البحر المحيط، ٤/٢٨٣ .

(٧) ينظر: البحر المحيط، ٤/٢٨٣ .

(٨) التبيان في إعراب القرآن، ١/٤٤١ .

وَالشَّرْعَةُ وَالشَّرِيعَةُ: الْمَاءُ الْكَثِيرُ مِنْ نَهْرٍ أَوْ وَادٍ. يُقَالُ: شَرِيعَةُ الْفُرَاتِ. وَسُمِّيَتْ الدِّيَانَةُ شَرِيعَةً عَلَى التَّشْبِيهِ، لِأَنَّ فِيهَا شِفَاءَ النُّفُوسِ وَطَهَارَتَهَا. وَالْعَرَبُ تُشَبِّهُ بِالْمَاءِ وَأَحْوَالِهِ كَثِيرًا، كَمَا قَدَّمْنَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(٩).
وَالْمِنْهَاجُ: الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ، وَهُوَ هُنَا تَخْيِيلٌ أُرِيدَ بِهِ طَرِيقُ الْقَوْمِ إِلَى الْمَاءِ، كَقَوْلِ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ:

إِذَا مَا اصْطَبَحْتُ أَرْبَعًا خَطًّا مَنْرِي ... وَأَتْبَعْتُ دَلْوِي فِي السَّمَاحِ رِشَاءَهَا^(١٠)
فَذَكَرُ الرِّشَاءِ مُجَرَّدُ تَخْيِيلٍ، وَيَصِحُّ أَنْ يُجْعَلَ لَهُ رَدِيفٌ فِي الْمُسَبِّهِ بِأَنْ تُشَبِّهَ الْعَوَائِدُ الْمُنْتَرَعَةَ مِنَ الشَّرِيعَةِ، أَوْ دَلَائِلُ التَّقْرِيعِ عَنِ الشَّرِيعَةِ، أَوْ طُرُقُ فَهْمِهَا بِالْمِنْهَاجِ الْمَوْصَلِ إِلَى السَّمَاءِ. فَمِنْهَاجُ الْمُسْلِمِينَ لَا يُخَالِفُ الْإِتِّصَالَ بِالْإِسْلَامِ، فَهُوَ كَمِنْهَاجِ الْمُهْتَدِينَ إِلَى الْمَاءِ، وَمِنْهَاجُ غَيْرِهِمْ مُنْحَرَفٌ عَنْ دِينِهِمْ، كَمَا كَانَتْ الْيَهُودُ قَدْ جَعَلَتْ عَوَائِدَ مُخَالَفَةَ لِشَرِيعَتِهِمْ، فَذَلِكَ كَالْمِنْهَاجِ الْمَوْصَلِ إِلَى غَيْرِ الْمُرُودِ. وَفِي هَذَا الْكَلَامِ إِبْهَامٌ أُرِيدَ بِهِ تَشْبِيهُ الْفَرِيقَيْنِ إِلَى الْفَرْقِ بَيْنَ حَالِيهِمَا وَبِالتَّأَمُّلِ يَطْهَرُ لَهُمْ^(١١).

ومن منطلقات توحيد لغة الخطاب قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾^(١٢).

وقوله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(١٣) وقوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(١٤) وقوله: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾^(١٥) وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^(١٦).

(٩) سورة النساء، الآية / ٨٣ .

(١٠) وفي رواية: إذا ما شربت أربعاً خط منري ... ينظر: ديوان قيس بن الخطيم، ٤ .

(١١) التحرير والتنوير، ٦/٢٢٣ .

(١٢) سورة الاسراء، الآية / ٥٣ .

(١٣) سورة النساء، الآية / ٥ .

(١٤) سورة النساء، الآية / ٥، و ٨ .

(١٥) سورة الاسراء، الآية / ٢٣ .

وربما يستدعي الخطاب أن يرتقي لا إلى مخاطبة الأذان فحسب بل إلى مخاطبة القلوب؛ بتخير اللفظ الأحسن والأبلغ قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّ آرْدُنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾ (٦٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿^(١٧) فان لم يستجيبوا الى الخطاب الأحسن عذر المخاطب حينئذ قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٨٨) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿^(١٨).

المطلب الأول: استعمال الألفاظ الحسنة

لقد كان لاستعمال الألفاظ في القرآن الكريم أهمية بالغة: فقد تخير اللفظ حسب ما يناسب المقام، فإن الألفاظ والجمل: قولا حسنا وقولا كريما وقولا معروفا وقولا بليغا لم يشر إليها جزافا، وإنما هي دعوة من الحكيم الخبير لما ينفع في طريق الدعوة والإرشاد لنجاح المهمة التي تكلف بها الأنبياء ومن بعدهم المصلحون في الأرض وهذا نبي الرحمة يقول: ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا لذا كان توجيه الله تعالى الناس إلى استعمال اللفظ الحسن قال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾^(٢٠) وقوله: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾^(٢١) وقوله: ﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾^(٢٢) وقوله: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ

(١٦) سورة الاحزاب، الآية / ٧٠.

(١٧) سورة النساء، الآية / ٦٢ - ٦٣.

(١٨) سورة الزخرف، الآية / ٨٨ - ٨٩.

(١٩) أخرجه الترمذي برقم ١٩٧٧ / ٤ / ٢٥٠..

(٢٠) سورة النساء، الآية / ٥.

(٢١) سورة النساء، الآية / ٦٣.

(٢٢) سورة الاسراء، الآية / ٢٣.

أَحْسَنُ ﴿٢٣﴾ وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ ﴿٢٤﴾ وقوله: ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٥﴾.

والقول المعروف هنا قولاً وعملاً قال الرازي: (وَاعْلَمَ أَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا أَمَرَ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْقَوْلَ الْجَمِيلَ يُؤَثِّرُ فِي الْقَلْبِ فَيُزِيلُ السَّعَةَ، أَمَا خِلَافُ الْقَوْلِ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهُ يَزِيدُ السَّيِّئَةَ سَفَهَا وَنُقْصَانًا. وَالْمُفَسِّرُونَ ذَكَرُوا فِي تَفْسِيرِ الْقَوْلِ الْمَعْرُوفِ وَجُوهًا. أَحَدُهَا: قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ وَمُجَاهِدٌ: إِنَّهُ الْعُدَّةُ الْجَمِيلَةُ مِنَ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ مِثْلُ أَنْ يَقُولَ: إِذَا رِيحَتْ فِي سَفَرِي هَذِهِ فَعَلْتُ بِكَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ، وَإِنْ) ﴿٢٦﴾. وقيل: (لَا تُعَاشِرُهُ بِالتَّسَلُّطِ عَلَيْهِ كَمَا تُعَاشِرُ الْعَبِيدَ، وَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿ وَإِنَّمَا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴾) ﴿٢٧﴾ وَإِنْ كَانَ الْمَوْلَى عَلَيْهِ سَفِيهًا وَعَظَّهُ وَنَصَحَهُ وَحَنَّهُ عَلَى الصَّلَاةِ، وَرَغَّبَهُ فِي تَرْكِ التَّبْدِيرِ وَالْإِسْرَافِ، وَعَرَّفَهُ أَنَّ عَاقِبَةَ التَّبْدِيرِ الْفَقْرُ وَالْإِحْتِيَاجُ إِلَى الْخَلْقِ إِلَى مَا يُشْبِهُ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْكَلَامِ) ﴿٢٨﴾. وقيل أنه الدعاء مثل أن تقول: عافانا الله وإياك وبارك الله فيك، وهو كل ما أحبته النفوس وسكنت إليه خلاف ما تنكره وتأنفه) ﴿٢٩﴾.

أما قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾؛ أي (وقل للمؤمنين يَقُولُوا للمشركين الكلمة الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وألين ولا يخاشنوهم، كقوله: وجادلهم بالتي هي أحسن. وفسر التي هي أحسن بقوله ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأْ يُرْحَمَكُمُ أَوْ إِنْ يَشَأْ

(٢٣) سورة الاسراء، الآية / ٥٣ .

(٢٤) سورة الاحزاب، الآية / ٧٠ .

(٢٥) سورة الزخرف، الآية / ٨٨ - ٨٩ .

(٢٦) مفاتيح الغيب، ٩ / ٤٩٦ .

(٢٧) سورة الاسراء، الآية / ٢٨ .

(٢٨) مفاتيح الغيب، ٩ / ٤٩٧ .

(٢٩) ينظر: المصدر نفسه.

يُعَذِّبُكُمْ ﴿﴾ يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها، ولا يقولوا لهم: إنكم من أهل النار وإنكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر(٣٠).

وفي قوله: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ (٣١) إشارة الى ان يتخير الداعية لفظه المناسب في تعامله مع الناس ولكن ليس اي تخيير وانما هو تخير لألفاظ تتعامل مع المشاعر لا مع الاسماع فقط (يقال قولٌ بليغٌ إذا كان يبلغ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه)(٣٢). وهو كالشرح للوعظ ولذكر أهم ما يعظهم فيه يقول الزمخشري: (فإن قلت: بم تعلق قوله: ﴿ فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ ؟ قلت: بقوله: ﴿بَلِيغًا﴾ أي؛ قل لهم قولاً بليغاً في أنفسهم مؤثراً في قلوبهم يغمثون به اغتماماً، ويستشعرون منه الخوف استشعاراً.... قولاً بليغاً يبلغ منهم ويؤثر فيهم)(٣٣).

اما قوله: ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (٣٤) فهو إشارة الى عدم التأفف من خدمة الوالدين أو أحدهما ولو كان بالقول تنهراً. والاف: صوت يدل على تضجر. فاذا كان النهي عن الصوت بوجهها فما كان اكثر منه كان تركه أولى ومطابقة لذلك أن يقول لهما قولاً جميلاً تكرما لهما وأقل هذا الادب أن لا يناديهما باسمهما(٣٥).

أما قوله: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٣٦) فهو خطاب للمؤمنين تأديباً وتعليماً لما يجب فعله وقوله للمشركين من القول الاحسن لا الحسن مثل قولهم

(٣٠) الكشاف، ٢ / ٦٧٢ .

(٣١) سورة النساء، الآية / ٦٣ .

(٣٢) معاني القرآن للزجاج، ٢ / ٧٠ .

(٣٣) الكشاف، ١ / ٥٢٧ .

(٣٤) سورة الاسراء، الآية / ٢٣ .

(٣٥) ينظر: الكشاف، ٢ / ٦٥٧ .

(٣٦) سورة الاسراء، الآية / ٥٣ .

للمشركين ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأُ يَرْحَمَكُمْ أَوْ إِنَّ يَشَأُ يُعَذِّبْكُمْ﴾^(٣٧) لا أن يقولوا لهم: انتم من أصحاب النار أو من الالفاظ التي تغيظهم أو تهيجهم على الشر^(٣٨).

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^(٣٩) (قَوْلًا سَدِيدًا قاصداً إلى الحق والسداد: القصد إلى الحق، والقول بالعدل. يقال: سدّد السهم نحو الرميّة: إذا لم يعدل به عن سمتها، كما قالوا: سهم قاصد)^(٤٠).

وقوله: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(٤١)، لما يئس الدعوة من استجابة مدعوهم ومنهم سيد الدعوة عليه الصلاة والسلام قال: ﴿وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٤٢) فجاء الجواب من عند الله تعالى مرشداً لنبيه ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(٤٣). (فَأَمْرُهُ بِأَنْ يَصْفَحَ عَنْهُمْ وَفِي ضِمْنِهِ مَنَعَهُ مِنْ أَنْ يَدْعُوَ عَلَيْهِمْ بِالْعَذَابِ، وَالصَّفْحُ هُوَ الْإِعْرَاضُ)^(٤٤). ونظير هذا قول سيدنا إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾^(٤٥).

الخطاب بالنداء والنهي والامر والاشارة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤٦). الخطاب بالنداء للإقبال عليه وأن الله مقبل ومنتهى إلى عباده. وأشار النص بخطاب التشريف والتعظيم للمؤمنين. والنهي في قوله: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنًا﴾ للنصح، ويصح للتوبيخ. والأمر في قوله: ﴿وَقُولُوا

(٣٧) سورة الاسراء، الآية / ٥٤ .

(٣٨) ينظر: الكشاف، ٢ / ٦٧٢ .

(٣٩) سورة الاحزاب، الآية / ٧٠ .

(٤٠) الكشاف، ٣ / ٥٦٣ ، ومفاتيح الغيب، ٢٥ / ١٨٦ .

(٤١) سورة الزخرف، الآية / ٨٨ - ٨٩ .

(٤٢) سورة الزخرف، الآية / ٨٨ .

(٤٣) سورة الزخرف، الآية / ٨٨ - ٨٩ .

(٤٤) مفاتيح الغيب، ٢٧ / ٦٥٠ .

(٤٥) سورة مريم، الآية / ٤٧ .

(٤٦) سورة البقرة، الآية / ١٠٤ .

انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ﴿ هو للزوم النصيحة، وأما الإشارة فهي تنبيه وتحذير للمؤمنين أن تكون حالهم بعد الإيمان كحال الكافرين^(٤٧).

المطلب الثاني: أنواع الخطاب المجتمعي

تعددت أنواع الخطابات في القران الكريم وأساليبها؛ ولكن الغاية واحدة هي: وحدة المجتمعات، وكسب الآخرين؛ لتعريفهم أن المجتمعات لا تحسن تواجهها ما لم تعرف واجباتها، وسبب تواجهها. ومن هنا لا بد من الإشارة إلى الآتي:

- الرفق واللين في مخاطبة الناس:

إنه ما من رفق أو لين في الناس إلا زان ذلك الامر في الناس، وهدء من روعهم. وما هذه الإشارة إلا ممن يعلم نافع الناس من ضارهم فهو القائل لنبيه موسى عليه السلام ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤)﴾^(٤٨) وحينئذ تحقق الخطاب من لدن موسى عليه السلام بإشارة من عند الله تعالى لعاتٍ من عتات الأرض فقال: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (١٩)﴾^(٤٩).

وكذا نجد أيضا الخطاب الاجتماعي بين الابن وأبيه الذي لا مناص منه بخطاب الباري عز وجل للأبناء اتجاه الآباء بأن يحسنوا اليهم ويكرمهم بالقول ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا

(٤٧) مستويات الخطاب البلاغي، ٢٨٣ .

(٤٨) سورة طه، الآية / ٤٣ - ٤٤ .

(٤٩) سورة النازعات، الآية / ١٧ - ١٩ .

فَلَا تُقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا^(٥٠) وما الاحسان والقول الكريم إلا من دواعي الرفق. وقد يكون فعل الأمر فيه شيء من اللين ولكن حينما يصحبه النهي اللازم ﴿فَلَا تُقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ يصبح الخطاب أكثر أهمية حينئذ.

والقول اللين يكون في مكانه وكذا الشديد ويكون من القوي والضعيف ومنه قول ابراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥)﴾^(٥١).

ومن هنا جاءت (دعوة تفتيش عن منفذ للدخول إلى فكر الآخرين ، وللحصول على قناعتهم ، مما يحصل بعض التعقيد في مواقفهم ، وبعض السلبيات في ردود فعلهم ، فلا بد من اتباع الأسلوب الذي يتحرك بالتوازن في عرض الفكرة ، وبالتسامح في مواجهة ردود الفعل، وبالتسهيل والتيسير في إعطاء المسؤوليات، ولا يكلفهم من أمرهم عسرا)^(٥٢).

ان يكون الخطاب على قدر عقولهم:

لا يصح مخاطبة الناس الا على طبقاتهم وكل حسب ثقافته وان يكون على قدر عقولهم فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: (حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟)^(٥٣) وعلق رشيد رضا هنا بقوله: . و"يعرفون" في الحديث: ضدّ ينكرون، لا ضدّ يجهلون؛ أي: حدثوهم بما تصل عقولهم إلى فهمه دون ما يعزّ عليها فتعدّه منكرًا ومحالاً؛ قال الحافظ: بما يعرفون أي: يفهمون، وقال آدم بن أبي إياس في كتاب العلم له في آخره: "ودعوا ما ينكرون"، أي: يشتبه عليهم فهمه مما قد يؤدي إلى رد الحق وعدم قبوله، ويفضي بهم إلى التكذيب. فهو

(٥٠) سورة الاسراء، الآية / ٢٣.

(٥١) سورة مريم، الآية / ٢٢ - ٤٥ .

(٥٢) من وحي القرآن، ٢٣٣/١٠ ، وافعال التبليغ، ٢٨٥.

(٥٣) من وحي القرآن ٢٣٣/١٠ . وافعال التبليغ، ٢٨٥، الاغتصام، ٣١٣/٢ .

بمعنى حديث ابن مسعود الذي يرويه مسلم في صحيحه: { ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة }^(٥٤)، وكذا روى البخاري عن عليّ رضوان الله عليه: { لا تُحَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا لَا تَحْتَمِلُهُ عُقُولُهُمْ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكْذَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ } ، وفي رواية للبخاري قال علي: {حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله}^(٥٥)، (المُنَاسِبَةُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ مِنْ حَيْثُ أَنْ فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ تَرْكُ بَعْضِ الْمُخْتَارِ مَخَافَةَ قُصُورِ فَهْمِ بَعْضِ النَّاسِ وَهَهُنَا أَيْضاً تَرْكُ بَعْضِ النَّاسِ مِنَ التَّخْصِيصِ بِالْعِلْمِ لِقُصُورِ فَهْمِهِمْ وَالتَّرْجِمَاتَانِ مُتْقَارِبَتَانِ غَيْرُ أَنْ الْأُولَى فِي الْأَفْعَالِ وَهَذِهِ فِي الْأَقْوَالِ)^(٥٦) .و(حَدَّثُوا) بصيغة الأمر أي كلموا (الناس بما يعرفون) ويدركون بعقولهم ودعوا ما يشتبه عليهم فهمه (أتحبون) بالخطاب (أن يكذب الله ورسوله) لأن الإنسان إذا سمع ما لا يفهمه وما لا يتصور إمكانه اعتقد استحالاته جهلاً فلا يصدق وجوده، فإذا أسند إلى الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لزم ذلك المحذور ويكذب بفتح الذال على صيغة المجهول)^(٥٧) .

وصحَّ أيضاً عن معاذ أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نهاه أن يُخْبِرَ بِالْخَبْرِ الْحَقِّ الَّذِي أَخْبَرَهُ بِهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) مِنْ نَجَاةٍ مَنْ مَاتَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصاً بِهَا قَلْبُهُ، وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة، وذلك لأجل المصلحة^(٥٨) .

- خطاب الخصم بعدم ايدائه:

(٥٤) صحيح مسلم في المقدمة، ١١/١ .

(٥٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢/٢٠٤ ، صحيح البخاري، برقم ١٢٧، في العلم، باب: من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا .

(٥٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢/٢٠٤ .

(٥٧) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي

المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: ٩٢٣هـ) ، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ٧، ط، ١٣٢٣ هـ عدد الأجزاء: ١٠ ، ٢٢٠/١ .

(٥٨) ينظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ٣/٣٥٠ . حاشية كتاب التوحيد، عبد الرحمن

بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي(ت: ١٣٩٢هـ) ط، ٣، ١٤٠٨هـ، ٢٩٣ .

ان مما سبق ذكره يتضح لنا ضرورة احداث الاسلوب الامثل لمخاطبة الاخرين ان كانوا من ملَّتِكَ او من غيرهم، ومن ضوابط الخطاب مع الاخر هو عدم الانتقاص منه قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾^(٥٩) واطاراة الخطاب هنا هي النهي عن سب الاخرين ولو كانوا لا يعبدون الله تعالى. وهذا نبي الرحمة في خطابه للكفار والمشركون لا يقبل لنفسه ان يؤذيه بالفاظه. ومن ذلك الاحسن هو خطاب الله تعالى على لسان نبيه (صلى الله عليه واله وسلم) مع خصومه اذ يقول: ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢٤) قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا تَعْمَلُونَ^(٥٩) وهنا اشار الله لنبيه بالاسلوب الامثل مع علمه انه الافضل لأنه من اراد كسب الاخر فلا بد ان يتعامل بالحسنى ولو على حساب مصلحته وبخاصة وهو يعلم انه المنصور لأنه على الحق المبين، ففي قوله تعالى: وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، فلم يخاطبهم بقوله يا كفار بل اشار باللفظ اما انا او انتم على هدى او في ضلال مبين. وعند قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾^(٦٠) خطابه (صلى الله عليه واله وسلم) لم يكن كما خاطبه المشركون بل ارتقى اسلوب الخطاب الى الاحسن لكسبهم فخاطبهم على سبيل قولهم له بان عمله الذي جاء به هو عمل اجرامي وان اجرامهم هو العمل الصحيح فخاطبهم بما يظنون فقال: لا تسألون عما اجرمتنا. اي على ظن منهم، والاحسن من هذا انه خاطبهم بما لا ينفهم وهو: ولا نسأل عما تعملون.

فان اجهد الانسان نفسه في تحصيل الاخرين اعرض عنهم الى موضوع غيره قال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴾^(٦١)، فاستعمل صيغة (تفعل) (تَوَلَّ) الدالة على التجنب مع السياق الذي يدعو إلى مجانبة الكافرين والابتعاد عنهم.

(٥٩) سورة سبأ، الآية / ٢٤ - ٢٥ .

(٦٠) سورة سبأ، الآية / ٢٥ .

(٦١) سورة الصافات، الآية / ١٧٤ .

المبحث الثاني

مراحل الخطاب مع الناس

لعل السامع لموضوع مراحل الخطاب مع الناس يحسب أن الخطاب هو بفنونه كلها فهذا ليس ما أعنيه. وإنما المعني هو الأساليب المثلى في مخاطبة المجتمع وكسب الناس كلا بأسلوبه من مرحلة السلام والابتسامة والدخول الى قلوب الناس الى مرحلة الاقناع بالحوار والحكمة والموعظة الحسنة. وكل ذلك يكون بالتداول مع شرائح المجتمع تصاعديا أو تنازليا؛ صعودا مع طلبة العلم والمتقنين والعلماء، ونزولا مع أطفال المجتمع وجهالها، وسفهاؤها، والمعندين، والمتكبرين.

المطلب الاول: الدعوة والحوار - الحكمة والموعظة:

انه مهما كان ذلك الخطاب فهو دعوة لذا يقول تعالى: ادْعُ، من قوله: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾^(٦٢). وللدعوة أسلوب، وأسلوبها أن يكون بالحكمة ثم الموعظة الحسنة ثم عند الجدل أن يكون أرقى من الأول وهو (بالتي هي أحسن).

ومن دواعي خطاب الدعوة أن يتحلى الداعية بالعفو وأن لا يأمر بما يخالف عادات المجتمع الحسنة وإذا خوطب الداعية بالسيء فعليه التحلي بالصبر والحسنى بالإعراض عن أساء قال تعالى: ﴿ خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٦٣) وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾^(٦٤).

(٦٢) سورة النحل، الآية / ١٢٥.

(٦٣) سورة الاعراف، الآية / ١٩٩.

وخالصة ذلك كله أنّ من أراد جمع الناس وجعلهم متوحدين فيما بينهم لا بد من لزومه الحكمة مع الناس وهذا ما تمكن منه نبينا محمد ﷺ قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٦٥) وهذا ايضا ما آتاه الله تعالى للقمان الحكيم عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(٦٦).

حوار ابراهيم مع النمرود بإثبات البراهين لا اجبار الخصم على الرضى:

مما جرى من حوارات لإثبات الحجة والحق مع من لا بد من محاجبتهم لتعاليمهم على غيرهم من البشر هو حوار ابراهيم عليه السلام. ولم يكن حوار اجباريا بل كان استدلاليا بطريقة المثال لان الداعي متوقع الانكار من الخصم. علما ان ابراهيم لا يملك ان يهدي انسانا بلا رحمة الله تعالى ومشيتته لذا جاء الخطاب مبينا حال المخاطبين بقوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَاهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾^(٦٧) من قوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِي فَعُمِّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَاهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ ومنه المثال الآتي قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٦٨) فقد (جَزَى هَذَا الْكَلَامَ مَجْرَى الْحُجَّةِ عَلَى مَضْمُونِ الْجُمْلَةِ الْمَاضِيَةِ أَوْ الْمِثَالِ لَهَا فَإِنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَأَنَّ الطَّاغُوتَ يُخْرِجُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ، سَاقَ ثَلَاثَةَ

(٦٤) سورة الفرقان، الآية / ٧٢.

(٦٥) سورة البقرة، الآية / ٢٦٩.

(٦٦) سورة لقمان، الآية / ١٢.

(٦٧) سورة هود، الآية / ٢٨.

(٦٨) سورة البقرة، الآية / ٢٥٨.

شَوَاهِدَ عَلَى ذَلِكَ هَذَا أَوْلَاهَا وَأَجْمَعُهَا لِأَنَّهُ اشْتَمَلَ عَلَى ضَلَالِ الْكَافِرِ وَهُدَى الْمُؤْمِنِ، فَكَانَ هَذَا فِي قُوَّةِ الْمِثَالِ.

وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا تَمَثِيلُ حَالِ الْمُشْرِكِينَ فِي مُجَادَلَتِهِمُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فِي الْبَعْثِ بِحَالِ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ، وَيَدُلُّ لِذَلِكَ مَا يَرِدُ مِنَ التَّخْيِيرِ فِي التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾^(٦٩) (الآية).

المطلب الثاني: الجدال الحسن النافع والجدل العقيم:

ان حوار التفاهم مع الخصم للوصول الى الحق والصواب لا يفسد القضية. وكل هذا لا اعني به على العموم ودائما بل له مراحل ووقته. فلما ينتهي الخطاب الى عدم الفائدة لا بد من اخبار الخصم بالأسلوب المناسب. قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٧٠) قال البيضاوي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾؛ أي (إلا بالخصلة التي هي أحسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشغبة بالنصح)^(٧١)، وقال القرطبي في قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾؛ (أي بِالْمُؤَافَقَةِ فِيمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ أَوْلِيائِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ)^(٧٢) وفي الحديث قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): {لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، فإن كان باطلا لم تصدقوهم، وإن كان حقا لم تكذبوهم}^(٧٣).

اسباب الاعراض بعد الحوار:

(٦٩) سورة البقرة، الآية / ٢٥٩.

(٧٠) سورة العنكبوت، الآية / ٤٦.

(٧١) التسهيل لعلوم التنزيل، ٢ / ١٢٧.

(٧٢) الجامع لأحكام القرآن، ١٣ / ٣٥٠.

(٧٣) رواه أحمد في مسنده، ٤ / ١٣٦ وأوله: إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم.

انه ما من دعوة الا ولها معارضون ومنصفون وكل ذلك لاسباب عدة فمن دواعي الاعراض الغلظة في الحديث والسب والشتم والوقوع في الاخرين، وان الاخرين يعارضون لاقتناعهم برأيهم قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٧٤)؛ لذا كانت دعوة من الله تعالى للناس بان لا يتساببوا، فكل يحترم رأي الاخر. وكان سبب نزول هذه الآية هو (أن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وأصحابه كان يذكرون الأصنام بسوء ويذكرون عيبيهم، فقال المشركون: لتنتهين عن شتم آلهتنا، أو لنسبَنَ ربك. فنهى الله تعالى المؤمنين عن شتم آلهتهم عندهم لأنهم جهلة. فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا يَعْنِي: اعتداءً بِغَيْرِ عِلْمٍ يَعْنِي: بلا علم منهم ويقال: عَدْوًا يَعْنِي: ظلماً صار نصباً بالمصدر، وفي الآية دليل أن الإنسان إذا أراد أن يأمر بالمعروف فيقع المأمور به في أمر هو شر مما هو فيه من الضرب أو الشتم أو القتل، ينبغي أن لا يأمره ويتركه على ما هو فيه)^(٧٥).

دواعي الإلفة والوحدة:

إن من دواعي الالفة والوحدة عدم النفرة ممن تطلبه لخيرك ما كان منه، وأن تلين جانبك بما تستطيع بالأمر المادي والمعنوي؛ من مال وجاه، أو استجابة لملهوف أو معنوي بما يتعلق بليين الطبع والسجية والعفو عن ظلم والتجاوز عن المسيء، والاحسان الى المحسن، بل وربما على المسلم أن يذهب الى ابعد من هذا وهو أن يحسن الى المسيء لذا قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا

(٧٤) سورة الانعام، الآية / ١٠٨.

(٧٥) الكشاف، ٥٦/٢، بحر العلوم للسمرقندي، ١/ ٤٧٤.

عَرَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿٧٦﴾ يقول الشعراوي: (إن طبيعتك يا محمد طبيعة تتناسب لما يطلب منك في هذه المسألة، هم خالفوك وهم لم يستجيبوا لك حينما قلت: إليَّ عباد الله، إليَّ عباد الله، وهذا شيء يُحْفَظُ وَيُغْضَبُ. ولكنه لا يُحْفَظُ طبيعتك ولا يُغْضَبُ سجيبتك لأنك مفطور مع أمتك على الرحمة) (٧٧) نعم انها الرحمة التي زرعها رب العالمين في قلب سيد المرسلين ﷺ. وهذا الاسلوب خبر لكن فيه طلب من الله عز وجل لما أودى ﷺ في معركة أحد فطلب منه أن يتعامل مع كل واحد من الناس بهذا الاسلوب من العفو والمغفرة والتسامح والبسمة. وهنا دعوة الى اللين؛ لانه به يتبعك الناس ويألفوك ويحبوك. فاذا لم تصبر وتتعامل بهذا الاسلوب فلن تجد الناس يتقربون منك. وعندما لا تحتقرهم أو تقل من شأنهم فعليك بمشاورتهم فلا تسفه أحلامهم وآراءهم بل عليك أن تشاورهم فإن كان رأيهم صوابا فخذ به والا فلك الراي (٧٨). وروى البغوي بسنده عن عائشة أنها قالت {ما رأيت رجلا أكثر استشارة للرجال من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) } (٧٩).

الخطاب بالبشرى للمؤمنين:

ومن الاساليب التي تكسب الاخرين وتوحد المجتمعات خطاب التبشير بالحسنى ومنه خطاب النبي (صلى الله عليه واله وسلم) لتعظيم شأنه قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ (٨٠)، وايضا لإشعار المخاطب بأن يكون مبشرا للطائعين ومنذرا للعاصين من الناس. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ

(٧٦) سورة ال عمران، الآية / ١٥٩ .

(٧٧) تفسير الشعراوي، ٣ / ١٨٣٥ .

(٧٨) ينظر: التحرير والتنوير، ٤ / ١٤٧، تفسير الخازن، ١ / ٣١٢، اللباب، ٦ / ١٨ .

(٧٩) تفسير الخازن، ١ / ٣١٢ .

(٨٠) سورة البقرة، الآية / ١١٩ .

آمَنُوا ﴿٨١﴾، وفي هذا الخطاب لم يخص أناسا دون آخرين من الذين أسلموا بل جاء الخطاب عاما في من أسلم. وأما مما ورد من البشارة الخاصة فهي قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦)﴾ ﴿٨٢﴾ وهذا خطاب للنبي رفعا لشانه أمام الكافرين والمؤمنين ﴿٨٣﴾.

الخاتمة:

-
- (٨١) سورة البقرة، الآية / ١٥٥. وسورة يونس: الآية / ٢ .
(٨٢) سورة البقرة، الآية / ١٥٥_ ١٥٦ .
(٨٣) مستويات الخطاب البلاغي، ٢٨٦ .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين أما بعد: فإن الحمد لله على اكمال ما بدأت به، ومن تمام النعمة أن يتوصل كل باحث إلى ثمرة ما بدأه. ومما توصلت له هو:

- أن لا سلامة للمجتمعات من غير سمة التواصل المجتمعي.
- ليس من العيب أن يتنازل الانسان عن بعض أساليبه ولكن العيب أن يتناول على غيره ولا يرى غير نفسه هو الافضل.
- من رقي الانسان ان يتمثل بالأسلوب الامثل لكسب الاخرين ولو على حساب نفسه مادام انه لا ينتقص من نفسه او الاخرين.

فهرست المصادر:

- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: ٩٢٣هـ) ، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣ هـ.
- الاغتصام ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) تد: ج١: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير وج٢: د. سعد بن عبد الله آل حميد وج٣: د. هشام بن إسماعيل الصيني، دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- افعال التبليغ في القرآن الكريم من الله تعالى الى الرسول محمد(صلى الله عليه واله وسلم) دراسة دلالية، رياض علي حسن، اشراف: ا. د. احمد جواد محيسن العتابي.
- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ).
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي(ت: ٧٤٥هـ)، تد: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: ٦١٦هـ)، تد: علي محمد البجاوي، مطبعة: عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد، ابن جزي الغرناطي(ت: ٧٤١هـ)، تد: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم - بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
- تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م، طبعة المكتبة الشاملة.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري(ت: ٣١٠هـ)، تد: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي(ت: ٦٧١هـ)، تد: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية-القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

- حاشية كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي(ت:١٣٩٢هـ)، ط٣، ١٤٠٨هـ.
- ديوان قيس بن الخطيم، تد: د. ناصر الدين الاسدي، دار صادر- بيروت.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تد: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨م.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦ هـ ، دار الفكر - بيروت، ١٩٨٦.
- صحيح مسلم بن الحجاج بشرح النووي ، المطبعة المصرية بالأزهر، ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني(ت: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير محمد بن إبراهيم بن علي الحسني(ت: ٨٤٠هـ) تد: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري(ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت، ط٣ - ١٤٠٧هـ.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد الخازن(ت: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت: ٧٧٥هـ)، تد: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- المحرر الوجيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت: ٥٤٢هـ)، تد: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- مستويات الخطاب البلاغي في سورة البقرة، عبير محمد فايز، اشراف د. خليل عودة، كلية الآداب جامعة النجاح الوطنية نابلس - فلسطين، ١٤٢١- ٢٠٠١.
- المسند للامام احمد بن محمد بن حنبل، تد: احمد محمد شاكر.

- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، **تح:** أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية - مصر، ط١.
- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، **تح:** عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- من وحي القرآن، (تفسير القرآن)، السيد محمد حسين فضل الله، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٨.